

التحرير والتنوير

استأنفت هذه الآيات الرد على سؤال اليهود أن ينزل عليهم كتابا من السماء بعد أن حمقوا في ذلك بتحقيق أسلافهم : بقوله (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) واستطردت بينهما جمل من مخالفة أسلافهم وما نالهم من جراء ذلك فأقبل الآن على بيان أن إنزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن بدعا فإنه شأن الوحي للرسول فلم يقدح في رسالتهم أنهم لم ينزل عليهم كتاب من السماء .

والتأكيد (بأن) للاهتمام بهذا الخبر أو لتنزيل المردود عليهم منزلة من ينكر كيفية الوحي للرسول غير موسى إذ لم يجروا على موجب علمهم حتى أنكروا رسالة رسول لم ينزل إليه كتاب من السماء .

والوحي إفادة المقصود بطريق غير الكلام مثل الإشارة قال تعالى : (فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا . وقال داود بن جرير : .

يرمون بالخطب الطوال وتارة ... وحي اللواحق خيفة الرقباء والتشبيه في قوله (كما أوحينا إلى نوح) تشبيهه بجنس الوحي وإن اختلفت أنواعه فإن الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم كان بأنواع من الوحي ورد بيانه في حديث عائشة في الصحيح عن سؤال الحارث بن هشام النبي صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي بخلاف الوحي إلى غيره ممن سماهم الله تعالى فإنه يحتمل بعض من الأنواع على أن الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم كان منه الكتاب القرآن ولم يكن لبعض من ذكر معه كتاب .

وعد الله هنا جمعا من النبيين والمرسلين وذكر أنه أوحى إليهم ولم يختلف العلماء في أن الرسل والأنبياء يوحى إليهم .

وإنما اختلفت عباراتهم في معنى الرسول والنبي . ففي كلام جماعة من علمائنا لا نجد تفرقة وأن كل نبي فهو رسول لأنه يوحى إليه بما لا يخلو من تبليغه ولو إلى أهل بيته . وقد يكون حال الرسول مبتدأ بنبوة ثم يعقبها إرساله فتلك النبوة تمهيد للرسالة كما كان أمر مبدإ الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه أخبر خديجة ونزل عليه (وأنذر عشيرتك الأقربين) . والقول الصحيح أن الرسول أخص وهو من أوحى إليه مع الأمر بالتبليغ والنبي لا يؤمر

بالتبليغ وإن كان قد يبلغ على وجه الأمر بالمعروف والدعاء للخير يعني بدون إنذار وتبشير . وورد في بعض الأحاديث : الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وعد الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولا . وقد ورد في حديث الشفاعة في الصحيح : أن نوحا عليه السلام أول الرسل . وقد دلت آيات القرآن على أن الدين كان معروفا في زمن آدم وأن الجزاء كان معلوما لهم فقد

قرب ابنا آدم قربانا قال أحدهما للآخر (إنما يتقبل الله من المتقين) وقال له (إنني أخاف
الله رب العالمين إنني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين
). (

ودل على أنه لم يكن يومئذ بينهم من يأخذ على يد المعتدي وينتصف للضعيف من القوي وإنما
كان ما تعلموه من طريقة الوعظ والتعليم وكانت رسالة عائلية .

ونوح هو أول الرسل وهو نوح بن لامك والعرب تقول : لمك بن متوشالغ بن أخنوخ . ويسميه
المصريون هرمس ويسميه العرب إدريس بن يارد بن مهليل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم
حسب قول التوراة . وفي زمنه وقع الطوفان العظيم . وعاش تسعمائة وخمسين سنة وقيل
تسعمائة وتسعين سنة والقرآن أثبت ذلك . وقد مات نوح قبل الهجرة بثلاثة آلاف سنة وتسعمائة
سنة وسبعين سنة على حسب حساب اليهود المستمد من كتابهم .

وإبراهيم هو الخليل إبراهيم بن تارح والعرب تسميه آزر بن ناحور بن ساروغ بن أرعو بن
فالغ بن عابر بن شالغ بن قينان بن أرفخشذ بن سام بن نوح . ولد سنة 2893 قبل الهجرة في
بلد أور الكلدانيين ومات في بلاد الكنعانيين وهي سوريا في حبرون حيث مدفنه الآن المعروف
ببلد الخليل سنة 2718 قبل الهجرة .

وإسماعيل هو ابن إبراهيم من الجارية المصرية هاجر . توفي بمكة سنة 2686 قبل الهجرة
تقريبا . وكان إسماعيل رسولا إلى قومه الذين حل بينهم من جرهم وغيرهم وإلى أبنائه وأهله
قال تعالى (واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادقا الوعد وكان رسولا نبيا) .
وإسحاق هو ابن إبراهيم من سارة ابنة عمه توفي قبل الهجرة سنة 2613 ، وكان إسحاق نبيا
مؤيدا لشرع أبيه إبراهيم ولم يحن بشرع .